منهجية معجمات المعاني

-التلخيص والمخصص أنموذجاً -

م.م مرتضى هاتف بريهي
المديرية العامة للتربية في محافظة القادسية

المقدمة

الحمد له رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطيبين الطاهرين .

أما بعد :

تعد معجمات المعاني الشكل الثاني من أشكال المعجم، إذ لا تختص بترتيب الألفاظ حسب نسق معين للحروف أو الأصوات ؛ وإنما تعمد إلى ترتيب أبواب أو كتب خاصة بالمعاني العامة للأشياء أو الأسماء ثم تضع في هذه الأبواب الكلمات والألفاظ التي تنتمي إلى معنى كلي موحد على أساس التقارب المعنوي (الدلالي) وهي قريبة في ذلك من مفهوم الحقول الدلالية الذي ظهر في الدراسات الدلالية الحديثة، والحقل الدلالي يجمع الكلمات المتقاربة في المعنى، ويصنفها في حقل خاص بها بالنظر إلى الروابط الدلالية بين هذه المفردات، ويعد هذه الكلمات من عائلة معنوية واحدة تترابط فيما بينها بروابط تركيبية ومعرفية ذهنية .

وقد حفل التراث اللغوي العربي بالكثير من الكتب، والرسائل اللغوية التي جمعت الألفاظ بحسب المعاني العامة، إذ نجد قطرب(ت206هـ) والأصمعي(ت213هـ) وأبا زيد الأنصاري (ت215هـ) ... وغيرهم قد ألّفوا الكثير من الكتب المختصة بخلق الإنسان، وصفاته، وفي النبات، والإبل، والخيل ... الخ .. وقد توجت جهود الأوائل في كتب لاحقة أفادت منهم، متمثلة بكتابي (التلخيص في معرفة أسماء الأشياء) لأبي هلال العسكري(ت395هـ) و (المخصص) لابن سيده(ت458هـ).

وحاولت في هذا البحث أن القي نظرة موجزة على مفهوم معجمات المعاني، مع بيان الفارق بينها وبين معجمات الألفاظ ؛ ثم تتبع حركة التطور المعجمي بالنسبة لمعجمات المعاني من المرحلة المبكرة وصولاً إلى مراحل النضج المنهجي المتمثلة بالكتب الموسوعية في المعاني والموضوعات.

وقد درست كتابي (التلخيص في معرفة أسماء الأشياء) لأبي هلال العسكري (ت395هـ) و(المخصص) لابن سيده (ت458هـ) كأنموذجين على معجمات المعاني، فعرضت لمنهجية التلخيص وطريقة مؤلفه في عرض مادته اللغوية، ومدى إفادته من الكتب السابقة، وكيفية تبويبه لكتابه، مع ملاحظة الشواهد ومدى اختصارها، ثم أخذت أنموذجاً من

الكتاب، وأشرت إلى بعض النقاط التي وجدتها في النص المعروض، ثم تحولت إلى المخصص، وبينت طريقته في تقسيم كتابه على كتب ؛ وسبب كتابته لهذا الكتاب، والمنهجية التي اتبعها في كتابه، وكيفية احتوائه على الكثير من آراء العلماء وأهل اللغة الذين سبقوه وتناولت قضية إفادته من النحو والصرف في معجمه ؛ لبيان المشتق وأُصوله ؛ ثم عرضت لأنموذج منه مع تسجيل بعض النقاط حول طريقته في العرض ...

أما عن المقارنة بين الكتابين فكانت تبتعد عن التقييم والتفضيل وعرضت فيه للفروق كمميزات لكل كتاب منهما.

*** مفهوم معجمات المعاني**

يقصد بالمعجمات اللغوية : الكتب التي تزيل الغموض عن الألفاظ وتفصح عن معناها بإزالة الإبهام وتوضيح اللفظ وإبانة المعنى، و((هي التي تحصر ألفاظ اللغة وترتبها ترتيبا خاصا يساعد الباحث على التعرف على اللفظة بشرح مدلولها))[1]، وتفسر المعنى وفقاً للسياقات اللغوية المختلفة.

وتقسم المعجمات اللغوية على قسمين :

الأول : معجمات الألفاظ : وتسمى المعجمات (المجنسة)، وهي تتناول ألفاظ اللغة كلها بلا تمييز وترتبها بحسب الحروف " صوتياً أو هجائياً "، فيسهل البحث فيها عن معاني الألفاظ وسياقاتها اللغوية.[2]

الثاني : معجمات المعاني : وتسمى بالمعجمات " المبوبة "[3] وهي التي تجمع الألفاظ المتصلة بموضوع واحد فقط، فمن ابتغى معرفة لفظة معينة حول موضوع معين ذهب إلى الباب المختص بالموضوع العام لمعرفة الألفاظ المتعلقة به، و ((على هذا فان معجمات المعاني لا نعود إليها لمعرفة معنى كلمة غامضة بين أيدينا، فذلك شأن معجمات الألفاظ وإنما نلجأ إليها عندما يستعصي علينا إيجاد لفظ مناسب لمعنى يدور في خاطرنا، ولا نعرف كيف نعبر عنه تعبيراً دقيقاً، أو عندما يتعذر علينا معرفة تركيب موافق لمعنى ما، ويجول في خلدنا ولم نستطع تذكر ذلك التركيب أو الوصول إليه))[4]، وبذلك فهي معجمات للموضوعات تفرد أبوابا في موضوعات ومعانٍ عامة ثم تتفرع هذه المعاني في أبوابها الخاصة.

وبناء على ذلك فان معجمات المعاني تختص ببيان الألفاظ والتراكيب الموضوعة لمختلف المعاني العامة أو الجزئية المتعلقة بها، وترتب هذه الكتب حسب الموضوعات في أبواب خاصة تتدرج ضمنها الألفاظ الموضوعة لهذه المعاني ... ومن المعاني العامة (السماء والأفلاك) ويندرج تحت هذا المعنى العام معانٍ فرعية مثل : نواحي السماء والكواكب، والنجوم، والشهب، والقمر ومنازله، والشمس وما يتصل بها والبروج والضوء والنور ...وغيرها

مما تقدم يتبين أن المعجمات انقسمت على قسمين من حيث منهجية التصنيف ووفقاً للغاية المطلوبة من تأليف المعجمات، فإن كانت الغاية بيان معاني الألفاظ وضبط الصيغ والتراكيب كان هنا أساس التصنيف أساساً لفظياً متمثلاً بمعجمات الألفاظ، أما إذا كانت الغاية هي تقديم ألفاظ لمعان تدور في خلد المرء من غير أن يجد لديه كلمات تعبر عنها، كان منهاج التصنيف مبنياً على أساس الموضوعات والمعاني، وتـُمثل في معجمات الموضوعات والمعاني.[5]

ويتفق دارسو المعجمات على أن المعجمات العربية مرّت بمراحل من التطور إلى أن استوتْ بهذه المنهجيات والطرق المختلفة من ناحية المنهجية أو التبويب والنظام الداخلي، وتمثلت المرحلة المبكرة برسائل الموضوعات والمعاني، إذ يرى الدكتور حسين نصار أنها بدأتْ كرسائل لغوية صغيرة ذات موضوعات محددة.[6] وهذه الرسائل كل منها يتناول موضوعاً من الموضوعات أو المعاني العامة، ويتفرع في بيان ما يندرج في ضمنه، وقد جمع علماء اللغة القدامى الكثير من الألفاظ من رسائل وكتيبات لغوية، ورتبوا ألفاظها تبعا لموضوع أو معنى من المعاني، ومن ذلك (خلق الفرس) لقطرب (ت206هـ) (وكتاب خلق الإنسان، وكتاب خلق الأجناس، وكتاب الأنواء، وكتاب خلق الفرس، وكتاب الإبل، وكتاب الشاء، وكتاب النخل والكرم، وكتاب النبات والشجر) للأصمعي (ت213هـ) (وكتاب القوس والرمح، وكتاب المياه، وكتاب اللبأ واللبن، وكتاب المطر) لأبي زيد الأنصاري (ت215هـ) (وكتاب الرحل والمنزل) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) وهذه الكتب رسائل صغيرة حاولت أن تجمع الألفاظ التي تختص بموضوع محدد لا تتجاوزه إلى مواضيع أخرى.[7]

وخلال القرون المتعاقبة تطورت رسائل الموضوعات والمعاني لتظهر لنا كتب كاملة فيما يسمى (معجمات المعاني)، لكل كتاب عنوانه الخاص، وهي مقسمة على أبواب من المعاني الكلية، وقد تقسم هذه الأبواب في بعض الكتب فصول ومن هذه الكتب كتاب (التلخيص في معرفة أسماء الأشياء) لأبي هلال العسكري(ت395هـ) وكتاب (المخصص) لابن سيده (ت458هـ).

وعلى الرغم من اتفاق اغلب الدارسين بأن الرسائل اللغوية كانت المرحلة الأولى للتأليف المعجمي إلا أن إبراهيم مراد يرى أن ترتيب الألفاظ اللغوية حسب الموضوعات والمجالات ((ترتيب يمثل مرحلة جديدة متطورة من التصنيف المعجمي بعد عمل الخليل بن احمد))[8] في حين تذهب يسرى عبد الغني إلى ((أن غالبية المعاجم في اللغات المختلفة بدأت معنوية))[9] ؛ لأن جمّاع اللغة وعلماؤها بتأليفهم رسائل الموضوعات(المعاني) يسعون إلى تحقيق الغرضين الآتيين:[10]

1- حفظ اللغة في بطون الكتب ؛ خوفاً عليها من الضياع، وبذلك ((أدت معاجم الموضوعات العربية دوراً كبيراً في حفظ اللغة ورصد كلماتها وجمع متفرقها)).[11]

2- تزويد علماء النحو واللغة بمدونة لغوية كافية لتقعيد النحو وفقاً للمنطق اللغوي الذي ينطلق من التراكيب اللغوية المعنوية التي جمعت في رسائل اللغة التي ألّفها علماء اللغة.

وقد ألــّف علماء اللغة الكثير من الكتب والرسائل اللغوية (المعجمية) ((إلا أنها لم تكن في الغالب معاجم حقيقية بل كان معظمها إما في غريبي القران والحديث أو مظاهر لغوية معجمية مثل الأضداد والمثلثات أو صفات الأشياء – وهي الأكثر عدداً – مثل الرسائل المؤلفة في المطر واللبن والغنم والخيل)). [12]

في حين عدّها دارسو المعجمات من معجمات المعاني والموضوعات ؛ لأنها تجمع الألفاظ المختصة بموضوع ما، وتذكر الشواهد من الآيات القرآنية والأبيات الشعرية والأمثال والأحاديث النبوية ... الخ

وقد قسم عبد المجيد الحر معجمات المعاني (الرسائل اللغوية) على ستة أقسام حسب المعنى والموضوع الذي جُمعت ألفاظهُ، وهذه الأقسام هي :[13]

1- كتب الغريب والنوادر : ويدخل في هذا القسم الرسائل، والكتب التي تناولت الألفاظ النادرة، والغريبة، ككتاب أبي زيد الأنصاري (ت215هـ) (النوادر في اللغة).

2- كتب الموضوعات : وهي الكتب التي جمعت الألفاظ المختصة بموضوع من الموضوعات، ككتاب المطر لأبي زيد الأنصاري (ت215هـ)، وكتب الأصمعي (ت213هـ)في الخيل والإبل ... الخ.

3- كتب الأضداد : وهذا النوع من الكتب جُمعت فيه الألفاظ التي تدل على معنيين متضادين متناقضين، ككتاب الأضداد للأصمعي (ت213هـ).

4- كتب مثلث الكلام : وهو النوع الذي جمع الألفاظ التي تتغير معانيها نظراً لتغير الحركات الثلاث ككتاب قطرب (ت206هـ)، ومثال الكلمة المثلثة (الــمَسك) بفتح الميم : اسم للجلد، و(الــمِسك) بكسر الميم : الطيب المعروف، و(الــمُسك) بضم الميم : هو ما يسد الرمق من الطعام والشراب.

5- كتب الأفعال : وهي ما جمع فيها مؤلفوها ألفاظ الأفعال التي تأتي على اشتقاقين بمعنى واحد، ككتاب (فعلت وأفعلت) للزجاج(ت 311 هـ).

6- كتب الحروف : وفيها الألفاظ مرتبة بحسب الحروف، ككتاب (الهمز) لأبي زيد الأنصاري (ت215هـ).

ويمكن أن توضع في ضمن قسم كتب الأضداد الكتب التي أُلفت في الفروق اللغوية، كفقه اللغة للثعالبي، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري.

أما المنهجية التي اتبعها أصحاب معجمات المعاني فتتنوع وتختلف في العرض والمنهج، إذ تتفاوت معجماتهم من حيث الشمول والاتساع اتفاقاً تارة واختلافاً مرة أخرى، ولا تخضع

للترقي الزمني في التطور والتدرج، إذ إن لكل معجم في المعاني خصائصه وطريقته الغالبة عليه، وقد يشبهه في شيء من ذلك معجمات أخرى متقدمة عليه أو متأخرة عنه وإن كانت كلها تقوم على المعاني الكلية العامة.[14]

وتبقى ابرز الفروق بين معجمات المعاني متمثلة في عد الأبواب والفصول، قلة وكثرة، وفي مدى عناية مؤلفيها بالألفاظ المفردة ومشتقاتها، أو بالتراكيب والجمل وطبيعتها وفي القصد إلى التوسع في الجزئيات والتفاصيل أو اختصارها والتخفف منها إلا أن اغلبها تستشهد بالشواهد نفسها وتعتمد بعضها معاني البعض الآخر.

أما عن عيوب معجمات المعاني فيرى الدكتور عبد الحميد أبو سكين ((أن كثيراً من الألفاظ تأتي لمعانٍ كثيرة والباحث لا يعرف في أي باب ذكر مطلبه وكثيراً من الصفات يشترك فيها الكائن الحي سواء أكان أنساناً أم حيواناً أم نباتاً، بل هناك من الصفات ما يصْعُب على الباحث مبتغاه))[15] في حين يعتقد الدكتور ديزيرة سقال أن اغلب معاجم المعاني تفتقر إلى المنهجية العلمية، إذ تخلو من الترتيب الصارم وتعرض المادة اللغوية مع كثير من الفوضى والاضطراب.[16] ((حتى إنك لتضطر إلى قراءة الكتاب كله للعثور على كلمة ؛ لأن صاحبه لم يرتبه ترتيباً أبجدياً، ولا رتبه بشكل واضح ومنظم، بل ساق فيه معارفه سوقاً اعتباطياً))[17]، ويبدو أن الذي دفع أصحاب معجمات المعاني إلى هذا هو أن المنهجية العامة في عرض الألفاظ للمعنى العام فرضت عليهم ذلك، ولو اتبعوا الترتيب الأبجدي لأصبحت معجماتهم من معجمات الألفاظ.

منهجية كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري

ألف أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي العسكري (ت395هـ) صاحب كتاب الصناعتين المشهور في الأدب والنقد الأدبي، في القرن الثالث الهجري كتابه (التلخيص في معرفة أسماء الأشياء) وهو معجم من معجمات المعاني (الموضوعات)، إذ ضمّنه الكثير من الألفاظ والتراكيب الخاصة بمسميات الأشياء، وقسمه على أربعين باباً، وجعل كل باب منها في معنى من المعاني العامة الواسعة، وكان كل باب يتألف في الأغلب من فصول تتناول الفروع عن ذلك المعنى العام، وبدأ كتابه بباب (أسماء أعضاء الإنسان وذكر الحمل والولادة وما يجري مع ذلك) وانتهى بباب (في أسماء أشياء مختلفة) و((سماه التلخيص ؛ لأنه لم يثقله بالشواهد الكثيرة))[18] .

وقد وضح أبو هلال العسكري منهجيته في التلخيص من خلال الاختصار، وعدم التوسع في العرض وطرح المادة العلمية بقوله : ((هذبته وشذبته ونقحته وأوضحته ونفيت الشواغل عنه بإسقاط الشواهد والتصاريف منه إلا نبذاً يسيراً متفرقاً في أثنائه لا يشغل خاطراً ولا يمل ناظراً لتداني شعبه وتقارب سبله ولا يكبر عن المبتدئين ولا يصغر عن

المتوسطين))[19] وعلى الرغم من قول أبي هلال العسكري بإسقاط الشواهد إلا أن ذلك لا يعني خلوه من الشواهد، إذ أحصى الدكتور حاتم الضامن الشواهد الواردة في كتاب التلخيص كالآتي:[20]

الآيات القرآنية : 145 آية

الأمثال : 30 مثلاً

الحديث النبوي الشريف : 49 حديثاً

الأشعار: 74 بيتاً

الأرجاز : 56

ومن أنصاف الأبيات وأجزائها : 66

ويرى الدكتور عزة حسن محقق كتاب التلخيص أن أبا هلال العسكري جعل كتابه مختصراً ليخفف عن القراء الذين ينظرون فيه، وليجعله مرجعاً لجمهورهم، ويجعله في متناول الجميع قريبا من نفوسهم لذلك سماه (التلخيص)[21].

ومع أن الكتاب كان مختصراً إلا أنه ((ارتفع به إلى مستوى المعجم في سعته وشموله على الرغم من إيجازه واختصاره))[22]، وبذلك فكتاب التلخيص احتوى الكثير من الألفاظ والتراكيب، فضلاً عن الشرح والتفسير الذي كان يضفيه أبو هلال ليبين معنى الألفاظ ويوضح الغامض منها.

أما طريقة أبي هلال العسكري في العرض، فكانت تقوم على إيراد الألفاظ المستعملة في الكلام للتعبير عن معنى من المعاني في الأصول المختلفة، ثم يشرح ويبين هذه الألفاظ، ثم يذكر الألفاظ المترادفة، ويبين الفروق اللغوية بينها ؛ ليظهر الفارق على مستوى المعنى، ثم يسوق الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ومن أقوال العرب الفصحاء وأمثالهم وأبيات الشعر القديم الموثوق بصحته وضبطه، لتوثيق صحة هذه الألفاظ وإيضاح معانيها.[23]

ومما يلاحظ في كتاب التلخيص لأبي هلال العسكري ((عنايته بالألفاظ المترادفة والفروق بينها في المعنى))[24] وهذا عائد إلى اعتقاد أبي هلال العسكري بمسألة الفروق اللغوية، وعدم الترادف التام بين الألفاظ ؛ لأن لكل لفظ معنى خاص يختلف عن اللفظ الآخر، وكذلك يلاحظ أن أبا هلال العسكري عُني عناية خاصة بالمعرب والدخيل، إذ كان ينبه على المعرب والدخيل في كتابه التلخيص.[25]

أنموذج من كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري :

يمكن ملاحظة كيفية عرضه لمادته المعنوية، ومنهجيته في الاستشهاد، والتبويب، والتنظيم الداخلي من خلال عرض نموذج من كتابه وكان الاختيار لـــ(فصل في ذكر الوجه) من باب (في أسماء أعضاء الإنسان):

((هو الوجه والمحيَّا . وحدّهُ من قصاص الشعر إلى الذقن .
والجبهة موضع السجود والجبينان يكتنفان الجبهة ويقال للخطوط التي في الجبهة الأسِرَّةُ الواحد سِرَرٌ.
والوجنة ما نتأ من الوجه والخد أسفل من ذلك، ويقال للخدين الديباجتان، والقسمة أعلى الوجنة .
والعوس دخول الخدين حتى يكون فيهما / كالهزمتين : رجلٌ أعْوَسُ وامرأة عَوْسَاءُ.
وفي الوجه الخال، والجمع خِيلانٌ معروف رجل أخْيَلُ بوجهه خال وأشيَمُ بوجهه شامةٌ .
والدَّبَبُ الزغب الذي يكون على الوجه قال الراجز:
نــتَــفَ النساءِ دَبَبَ العروسِ
والمحجر : ما يبدو من النقاب.
والحجاجان : العظمان اللذان ينبت عليهما الحاجبان، والحاجب اسم الشعر قال أبو حاتم الحجاجان غارا العينين، وغار العين الوَقــبُ الذي هي فيه.
فإذا طال الحاجبان حتى يلتقي طرفاهما فذلك القــرَنُ، وهما مقرونان والرجل أقــرَنُ عن ابن السكيت وقال أبو حاتم : لا يقال رجل أقــرَنُ ؛ إنما يقال مقرون الحاجبين بالإضافة لا غير.
فان طالا ودقا وامتدا إلى مؤخر العين فذلك الزَّجَجُ . يقال حاجبٌ أزَجُّ .
والبَلَجُ الفُرْجَة بينهما، والعرب تستحبه رجلٌ أبْلجٌ، وامرأة بَلْجَاءٌ، وكذلك البُلْجَةُ والبَلدة .
وحاجب مُهلــلٌ مُقوسٌ.
والكــلْثَمةُ استدارةُ الوجهِ . ومنه سُمِّي الفيلُ كُلثُوماً))[26]

ونلاحظ في هذه المادة التي عرضتها من كتاب التلخيص لأبي هلال العسكري (ت395هـ) الآتي :

1- أنه قرن الوجه بالمرادف له وهو (المحيَّا)، وحدده من قصاص الشعر إلى الذقن.
2- أنه عني بالتفريق بين (الجبهة والجبينان)، و(الوجنة والخد)، و(الخال والشامة) من خلال تحديد موضع الجبهة بمنطقة السجود، في حين يكون الجبينان ما يكتنف الجبهة ؛ أما الوجنة فتختلف عن الخد بان تكون ما نتأ من الوجه، والخد هو أسفل منها ثم بين أن رجلٌ أخْيَلُ بوجهه خال، في حين أشيم بوجهه شامة ؛ ليدل على أن هناك فرقاً في الصفة وإن لم يذكره.
3- أنه استشهد على الدَّبَبُ بقول الراجز :

نــتَــفَ النساءِ دَبَبَ العروسِ

4- أنه اهتم ببيان الصفة بالنسبة للمذكر والمؤنث، وصيغتها الصحيحة واشتقاقها من صفة الشيء، فالعوس يكون صفة الرجل منه أعْوَسُ والمرأة عَوْسَاءُ، والبَلَجُ تكون صفة الرجل أبْلجٌ والمرأة بَلْجَاءٌ وبلجة في حين بقي الزجج صفة للحاجب فكان أزَجًّا ، ولم تكن هناك صيغة للمذكر والمؤنث وكذلك بالنسبة لــ(حاجب مهلل : مقوس) [27]

5- ذكر آراء علماء اللغة السابقين في بيان معاني بعض الألفاظ أو كيفية تركيبها وصياغتها، إذ نقل عن أبي حاتم السجستاني قوله ((الحجاجان غارا العينين وغار العين الوقب الذي هي فيه))، وكذلك أورد رأي ابن السكيت ورأي أبي حاتم السجستاني في صياغة صفة القرن للحاجب عند الرجل فقال : ((والرجل اقرن عن ابن السكيت وقال أبو حاتم : لا يقال رجل اقرن ؛ إنما يقال رجل مقرون الحاجبين بالإضافة لا غير)) [28]

6- أنه ادخل في فصل الوجه الحجاجان والحاجب وبين صفات الحاجب بالقرن والزجج والبلج والمهلل، وهذه المادة يمكن أن تكون فصلا في الحاجب لا في الوجه ؛ لأنه تناول الفم كفصل، والأنف كفصل ... الخ

بناء على ما تقدم يتبين أن كتاب التلخيص مهتم ببيان أسماء الأشياء وصفاتها بشكل مختصر مع بيان الفروق اللغوية بين الألفاظ، وشرح المفردات وبيان معانيها مع الاستشهاد بأقوال علماء اللغة في صياغة الصفات واشتقاقها وتركيبها ؛ فضلا عن أنه يعتمد على القران الكريم والأحاديث النبوية والأشعار والأمثال في بيان الألفاظ ودلالاتها المختلفة في كل مرة.

منهجية كتاب المخصص لابن سيده (458هـ)

ألف كتاب المخصص علي أبو الحسن بن إسماعيل، والمعروف بابن سِيدَه (ت 458هـ) كاتب معاجم أندلسي .ولد في مرسية ونشأ في بيت علم، علمه أبوه اللغة العربية والنحو، كان أعمى كأبيه، ويعد كتابه المخصص أوسع معجمات المعاني القديمة وأغزرها مادة وأجدر الكتب في موضوعه بان يحمل اسم معجم كامل للمعاني ؛ لما اتسم به من التقصي والاستيعاب للمعاني العامة، إذ يعد موسوعة لغوية سمتْ بمعجمات المعاني إلى القمة ؛ لكثرة مفرداته وألفاظه وكذلك لاحتوائه الكثير من المعارف النحوية والصرفية.[29]

وقد بين ابن سيده تأليفه لكتابه المخصص على الرغم من وجود الكثير من معجمات المعاني قبله بقوله: ((تأملت ما ألفه القدماء في هذه اللسان المعربة الفصيحة وصنفوه لتقييد هذه اللغة المتشعبة الفسيحة فوجدتهم قد أورثونا بذلك فيها علوماً نفيسة جمة ... إلا أني وجدت ذلك نشراً غير ملتئم ونثراً ليس بمنتظم إذ كان لا كتاب نعلمه إلا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه، ثم إني لم أرَ لهم فيها كتاباً مشتملاً على جلها، فضلاً عن كلها مع إني رأيت جميع من مد إلى تأليفها يداً واعمل في توطئتها وتصنيفها ذهناً وخلداً قد حرموا الارتياض بصناعة الإعراب))[30]

ولهذا بدا ابن سيده بجمع كتاب يشتمل على ما ورد في اللغة من مفردات وألفاظ للمعاني العامة الكلية ثم يخضع الألفاظ والمعاني للتعليل وبيان التفريع وتأصيلها بإرجاعها إلى الجذر اللغوي ويقول في ذلك : ((فاشرأبت نفسي عند ذلك إلى أن اجمع كتاباً مشتملاً على جميع ما سقط إلي من اللغة إلا ما لا بال به وأن أضع كل كلمة قابلة للنظر تعليلها، وحكم في ذلك

تفريعها، وتأصيلها، وإن لم تكن الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه، وتركتها على ما ودعوه تحبيراً أقينه وأرهفه وتعبيراً أتقنه وأزخرفه))[31]

وقد أفاد ابن سيده في كتابه المخصص من رسائل الموضوعات التي كتبها سابقوه وأشار إلى ذلك في كتابه، ومن تلك الرسائل التي ذكرها رسائل أبي حاتم السجستاني (الأزمنة، والحشرات، والطيور)، وكذلك اعتمد على كتب الأصمعي (ت213هـ) (كالسلاح، والإبل، والخيل) ... فضلا عن الكتب النحوية ككتاب سيبويه، وكتب أبي علي الفارسي، والفراء، والسيرافي ... الخ[32]

ولم يذكر ابن سيده في مقدمته أنه أفاد من (كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء) في حين يذهب الدكتور عزة حسن محقق كتاب التلخيص إلى أن ابن سيده قد ((اقتفى آثار أبي هلال العسكري في كتاب التلخيص فاتبع خطته في تبويب الكتاب فقسمه إلى عدد من الأبواب كما فعل أبو هلال ولكنه سمى الباب كتابا ويبدو أنه اختار اسم الكتاب على الباب لطول كل باب وسعة مادته في معجمه الضخم))[33] ويعتقد أن ابن سيده اتبع أبا هلال العسكري حتى في خطة ترتيب الموضوعات العامة في كتابه فبدأ بالإنسان، ثم انتقل إلى الحيوان، ثم إلى السماء والزمان وظواهر الطبيعة، ثم إلى النبات والمعادن.[34]

في حين ذهبت يسرى عبد الغني إلى أن ابن سيده في كتابه المخصص ((سار على نمط لم يسبق إليه فبدا بخلق الإنسان وما يتعلق بحمله وولادته ورضاعه ...))[35] فضلاً عن أنه عرض لكثير من المعارف الصرفية والنحوية واتسم بالاتساع في عرض المواد اللغوية وافرد كتاباً في المكنيات والمبنيات والأضداد والأفعال والمصادر والمقصور والممدود ... الخ

ويشتمل كتاب المخصص ثمانية عشر كتاباً تبدأ بخلق الإنسان فالغرائز ... وتنتهي بالعدد متخذاً ((تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص والإتيان بالكليات قبل الجزئيات والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض على ما يستحقه التقديم والتأخير))[36] وكانت طريقته في العرض تبدأ بتعريف الألفاظ العامة الشائعة والتي يتوقف عليها الموضوع كله، ثم ينتقل إلى الجزئيات في أبواب الكتاب الخاص بالمعنى العام.

ويرى الدكتور فوزي يوسف أن ابن سيده تأثر بالمنطق في الأبواب التي ادخلها في المخصص وفي علاجه لمواده فنظر إلى كل كتاب منها نظرته إلى الكتاب المستقل وصدره بتعريف بالألفاظ العامة الشاملة ثم بدا بالموضوعات العامة الكلية فالخاصة.[37]

وتلاحظ في كتاب المخصص الآراء النحوية والصرفية منسوبة إلى أصحابها، وقد ((وجدت عنده أبواب نحوية وصرفية خالصة لا نجدها في كتب غيره وأبواب يغلب عليها التعليلات النحوية والصرفية))[38] ويعتقد الدكتور عزة حسن أن ابن سيده أورد في المخصص ((مسائل في اللغة خارجة عن طبيعة المعجم اللغوي مثل : المذكر، والمؤنث، والمثنيات، والأضداد،

والمقصور، والمهموز، وأوزان الأسماء والأفعال، والصفات وغيرها، ومعظمها مسائل نحوية وصرفية بعيدة عن موضوع الكتاب الأصلي))[39] إلا أن ذلك يتعارض مع القول الذي يذهب إلى ((أن المعجم لا يستغني عن النحو فهو يعرض الصيغ في صور نحوية عادة كالاسم مع أداة التعريف في العربية والفعل مع حرف المضارعة))[40]

ويذهب الدكتور حسين نصار إلى أن ابن سيده لم يكن يلتزم النص الذي ينقله عما قبله صرفياً، وإنما يجري فيه بعض التغييرات بالحذف والزيادة و((على الرغم من أن هذا الكتاب هو جمع لمادة لغوية من كتب الأولين مع الاحتفاظ بنسبة النقول إلى أصحابها ؛ لكننا نلحظ أحيانا بعض الآراء والتعقيبات والتعليقات وقد بلغ عددها (420) أربعة مئة وعشرين رأياً وهي موزعة بين الآراء الدلالية والصرفية والنحوية والصوتية، وأكثر هذه الآراء هي الآراء الدلالية وذلك انسجاما مع مادة المخصص التي تدور حول المفردة في اللغة))[41] وهذا يظهر تميز المخصص عن المعجمات المعنوية الأخرى.

وقد تميز الكتاب بطول نفس مؤلفه وتوسعه وكثرة شواهده لكن يلمح فيه ((بعض الخلل والاضطراب في تتابع أبوابه – أو كتبه – من آن إلى آخر غير انه مع ذلك يظل من حيث هيكله العام وخطوطه العريضة متسما بحسن التبويب ومراعاة التنظيم بالقياس إلى غيره والحرص على تحديد معاني الألفاظ والتراكيب ومشتقاتها وفروعها وإيراد الشواهد المناسبة من الشعر والنثر وآيات التنزيل ونسبة كل قول إلى مصدره أو قائله))[42]

نموذج من كتاب المخصص لابن سيده :

بعد عرضي لفصل الوجه في كتاب (التلخيص في معرفة أسماء الأشياء) لأبي هلال العسكري(ت395هـ) ساعرض لجزء من فصل الوجه من كتاب المخصص، ويقول فيه ((الوجه *ثابت* في الرأس * الوجه *غيره* كل شيء اقبل عليك مستقبله يقال انه لحرّ الوجه وعبده – يعني به الكرم واللؤم، وحسنت إضافتهما إلى الوجه ؛ لأنهما صفتان، أما الحر فلا نظر فيه ؛ لأنه قد جاء وصفاً كثيراً، وأما العبد فقال سيبويه : العرب تقول رجل عبد فيصفون به وانه لسهل الوجه ــ إذا لم يكن ظاهر الوجنة *قال أبو علي* : وجه وأوجه ووجوه وقد واجهت الرجل ــ قابلت وجهه، ويقال فلان وجه ووجيه بيّن الوجاهة، وقد وجه، وقالوا له جاه عند السلطان، فقلبوه عن وجه وتغيّر بناؤه بالقلب من فــَعــْل إلى فــَعــُل لان القلب قد تتحول به الأبنية ولايقلب الوجه إلا في قولهم الجاه، وقالوا وجه الأمر ووجه الكلام على المثل *الأصمعي* الكرهاء ــ الوجه والرأس اجمع *ثابت* يقال لجماعة الوجه ــ المحيّا فلان جميل المحيّا وقبيح المحيّا *أبو عبيدة* المحيّا حر الوجه *الأصمعي* غرة الرجل وجهه غرة القبل ــ الوجه . وقبل كل شيء ــ نقيض دبره ويقال كيف أنت إذا اقبل قبلك ــ يكون اسماً وظرفاً، فإذا جعلته ظرفاً نصبته وإذا جعلته اسماً رفعته *ابن دريد* قبّح الله كرشمته أي وجهه *ثابت* وفي

الوجه – الجبهة وهو موضع السجود رجل اجبه واسع الجبهة حسنها، وامرأة جبهاء بينة الجبه *ابن السكيت* رجل جباهي عظيم الجبهة *صاحب العين* خلقاء الجبهة وخليقاؤها – مستواها *ثابت* فإذا ابيضت وحسنت ولم تكن غليظة كثيرة اللحم – قيل هو واضح الجبين وصلته ومن الجباه الحلواء – وهي الحسنة الواسعة، وإذا رأيت في الجبهة كسوراً – فتلك غصونها وقد تغضنت جبهته وما بين كل مكسرين من تلك المكاسر غصن ــ وهي أسرّة الوجه وأساريره واحدها سِرَار سِرَرٌ وسِرٌّ وانشد :

إذا نظرت إلى أسرّة برقت كبرق العارض المتهلل

علي الصحيح عندي أن أسارير جمع أسْرار وأسَرار جمع سِرٌّ و سِرَرٌ كقطع وأقطاع وقمع وأقماع وان أسرّة جمع سِرَار كعنان وأعنة))[43].

ويلاحظ في هذه المادة التي هي جزء من فصل الوجه من كتاب المخصص لابن سيده الآتي :

1- ان ابن سيده حدد صفات الوجه كحر الوجه أو عبده أو سهل الوجه، ثم ذكر مسمى آخر للوجه، وهو المحيّا ونقل تسمية له هي (كرشمة)، ثم ذكر موضع الجبهة، وصفة الرجل، والمرأة صاحبي الجبهة.
2- نقل ابن سيده عن الكثير من العلماء كالأصمعي، وابن السكيت، وابن دريد، وأبي عبيدة، وصاحب العين ... الخ
3- عرض لقضايا تختص بالتركيب النحوي عندما بين مسألة إضافة الوجه إلى صفة الحر أو العبد، وكذلك في إعراب (قبلك) إذا كانت اسما أو ظرفا
4- استشهد بقول الشاعر في إثبات جمع أسرة :

إذا نظرت إلى أسرة برقت كبرق العارض المتهلل

5- طرح ابن سيده رأيه فيما يخص أسارير وسرار وان أسرة كأعنة
6- ناقش قضية القلب الصرفي في (وجه وجاه)، ورأى أن القلب تتحول به الأبنية من صيغة إلى أخرى.

مما تقدم يتبين ان المخصص موسوعة لغوية مكتملة من النواحي الصرفية والنحوية، وتحتوي على الكثير من آراء علماء اللغة والنحو والصرف مع أنه ــ أي المخصص ــ معجم للمعاني والموضوعات، ويظهر توسعه في عرض الألفاظ واضحا جليا من خلال النموذج المعروض إذ إن جزءا بسيطا من فصل الوجه قد ضمنه الكثير من الأوصاف، والمعاني، والآراء النحوية، والصرفية، وهذا يجعله أهم معجمات المعاني.

مقارنة بين التلخيص والمخصص :

لعل محاولة إجراء مقارنة قائمة على التفضيل والقيمية يبتعد عن هدف بحثنا، لذلك ستقوم المقارنة ببيان الفروق بين المعجمين من غير إصدار حكم في تفضيل شيء على شيء آخر، لأن المنهج المقارن يتوخى التوصل إلى إعادة بناء الأصل المشترك والمختلف بين الأشياء المقارن بينها ،[44] وتتمثل الفروق بين التلخيص والمخصص بالاتي :

أولاً : إن أبا هلال العسكري مال في كتابه التلخيص إلى الاختصار، وإسقاط الشواهد في حين مال ابن سيده في المخصص إلى التوسع في عرض المادة والإكثار من الشواهد.

ثانيا : إن أبا هلال العسكري عني بالفروق اللغوية، والمعرب والدخيل في الوقت الذي عني فيه ابن سيده بالقضايا النحوية والصرفية.

ثالثا : اقتصر أبو هلال العسكري على عدد قليل من آراء العلماء الذين سبقوه، في حين ذكر ابن سيده الكثير من الآراء مع نسبة الآراء إلى أصحابها ومناقشة بعض الآراء وعرض وجهة نظره فيها.

وبناء على ما تقدم فان الفروق بين المعجمين تمثل ميزة لكل معجم على الآخر بحسب وجهة النظر التي ننظر منها إلى المعجم ..

الخاتمة

يبدو أن البحث في التراث العربي يكشف عن الكثير من الخزائن اللغوية الفريدة والمميزة، ومن هذه الخزائن كتب الرسائل والموضوعات ومعجمات المعاني والموضوعات، إذ تمثل الرسائل اللغوية ومعجمات الموضوعات مدونات لغوية كبير مرتبة وفقاً للموضوع أو المعنى، والتي تمثلت في الدرس اللغوي والدلالي الحديث بالحقول الدلالية، وقد تناولنا معجمات الموضوعات وأخذنا التلخيص والمخصص كأنموذجين عنهما وقارنا بينهما وتوصل البحث إلى النتائج الآتية :

1- إن معجمات الموضوعات والمعاني تمثل النوع الثاني المكمل لمعجمات الألفاظ ؛ لأنها تقدم مع معجمات الألفاظ، الألفاظ الخاصة بالمعاني وصفاتها
2- إن معجمات الموضوعات اتخذت منهجيات مختلفة وطرق متعددة بحسب رؤية الكاتب وهدف الكتاب.
3- إن معجم التلخيص تميز بالاختصار مع الاهتمام بالمادة اللغوية والدلالية مع العناية بالمعرب والدخيل والفروق اللغوية.
4- إن معجم المخصص اتسم بالاتساع والغزارة في المواد اللغوية واحتوى على الآراء الصرفية والنحوية.

الهوامش :

[1] المعاجم العربية (موضوعات وألفاظا) : 5

[2] ينظر : المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : 19– 20، ونشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني – معاجم الألفاظ) :10

[3] ينظر : المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : 20، ونشأة المعاجم العربية وتطورها : 10

[4] بحث (نحو معجم جديد للمعاني) مجلة اللغة العربية، المجلد (78) الجزء (4) : 941، وينظر : المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها : 69

[5] ينظر: (المعجمات العربية نشأتها وأطوار التأليف فيها) بحث منشور في مجلة التراث العربي، العدد (77) : 15

[6] ينظر : المعجم العربي نشأته وتطوره : 1 / 112

[7] ينظر : المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : 19، والمعجمات العربية نشأتها وأطوار التأليف فيها : 17

[8] دراسات في المعجم العربي : 9

[9] معجم المعاجم العربية : 85

[10] ينظر : المعاجم العربية (موضوعات وألفاظا) : 51

[11] المعاجم العربية (موضوعات وألفاظا) : 80

[12] دراسات في المعجم العربي : 9

[13] ينظر : المعجمات والمجامع العربية : 19

[14] نحو معجم جديد للمعاني : 942، 943

[15] المعاجم العربية ،مدارسها ومناهجها : 20

[16] ينظر : نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني – معاجم الألفاظ) : 27

[17] نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني – معاجم الألفاظ) : 27

[18] المكتبة تعريف بالمصادر : 102

[19] التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 29

[20] ينظر : معجمات المعاني (تعقيب واستدراك) : 502

[21] ينظر : التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 17

[22] التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 15

[23] ينظر : التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 17، و المكتبة تعريف بالمصادر : 103، و نحو معجم جديد للمعاني : 947

[24] المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها: 80

[25] ينظر : التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 8، و المكتبة تعريف بالمصادر : 103

[26] التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 44 – 45

[27] التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 45

[28] التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 44

(29) ينظر المعجم العربي نشأته وتطوره : 211 والمعاجم العربية موضوعات وألفاظا : 71 و نحو معجم جديد للمعاني : 947

(30) المخصص : 1 / 7

(31) المصدر نفسه : 1 / 8

(32) ينظر : المصدر نفسه : 1 / 11

(33) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 18

(34) ينظر : المصدر نفسه : 18

(35) معجم المعاجم العربية : 71

(36) المخصص : 1 / 10

(37) ينظر : والمعاجم العربية موضوعات وألفاظا : 71

(38) المعاجم العربية موضوعات وألفاظا : 71

(39) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 18

(40) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : 13

(41) (الجهود الصرفية لابن سيده في كتابه المخصص) مجلة أبحاث ميسان رضاته حسين .المجلد (5) العدد (10) : 160

(42) نحو معجم جديد للمعاني : 947

(43) المخصص : 1 / 88

(44) ينظر : مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : 167.

المصادر والمراجع

1- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ) تحقيق عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة ط2 1996م

2- دراسات في المعجم العربي إبراهيم مراد دار الغرب الإسلامي بيروت 1987م

3- المخصص لأبي علي ابن سيده 458هـ دار الفكر د.ط د.ت

4- المعاجم العربية موضوعات وألفاظا د. فوزي يوسف الهابط الولاء للطبع والتوزيع ط1 1992

5- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ،محمد احمد ابو الفرج دار النهضة العربية ط1 1966

6- المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها احمد عبد الله الباتلي دار الراية الرياض ط1 1992

7- المعجم العربي نشأته وتطوره د. حسين نصار دار مصر للطباعة ط 1 د.ت

8- معجم المعاجم العربية يسرى عبد الغني عبد الله دار الجيل بيروت ط1 1991

9- معجمات المعاني تعقيب واستدراك د.حاتم صالح الضامن مطبعة المجمع العلمي العراقي 1992

10- المعجمات والمجامع العربية عبد الحميد الحر دار الفكر العربي ط1 1994

11- المكتبة تعريف بالمصادر الرئيسة والمساعدة في دراسة اللغة والأدب د.سامي مكي العاني وعبد الوهاب محمد وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 1978م
12- نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني – معاجم الألفاظ) د. ديزيره سقال دار الصداقة العربية بيروت ط1 1995م

الدوريات والمجلات :

1- مجلة أبحاث ميسان (الجهود الصرفية لابن سيده في كتابه المخصص) رضاته حسين .المجلد (5) العدد (10) 2009م
2- مجلة التراث العربي (المعجمات العربية نشأتها وأطوار التأليف فيها) د.عبد الحفيظ السلطي العدد(77) 1999م
3- مجلة مجمع اللغة العربية (نحو معجم جديد للمعاني) محمود فاخوري المجلد (78) الجزء (4)

Abstract

Try this search to cast a brief look at the concept of Magamat meanings, with an indication of the difference between them and the words Magamat; then track the movement of evolution for Magamat lexical meanings from early stage through to maturity stages of systematic encyclopedic books on the meanings and themes.

Having examined the written (the summary to know the names of things) to Abu Hilal military (d. 395 AH) and (LCA) to the son of his master (d. 458 AH) Konmozgen on Magamat meanings, who introduced the methodology of the summary and the way the author in the presentation of the material of language, and the extent of his testimony from the previous books, and how the tab for his book, noting the evidence and the extent shortened, then took a model of the book, and I referred to some of the points that I've found in the text that is displayed, and then turned into a dedicated, and showed his own way in the division of his books; the reason for writing this book, and the methodology followed in the book, and how it contains a lot the views of the scientists and the people who preceded him language and his testimony dealt with the issue of grammar in the lexicon;

statement of assets and derivative; then presented him with a model for recording some of the points on his way in the show ...

As for the comparison between the two books were shying away from evaluation and preference and offered it to the differences Kmmizzat each book them.